مقدمـــة

الضجيج أثر من الآثار التى تصاحب وجود الإنسان ومحاولاته المستمرة لتغيير أنماط الطبيعة بما يحقق له مزيدًا من الرفاهية والحياة السهلة المريحة .

والضجيج قديم قدم الإنسان على هذه الأرض ، وإن اختلفت صوره وأشكاله ، وتفاوتت شدته وحدّته . وتشير الكتابات على بعض الألواح الطينية التى وجدت فى مدن سامر وبابل إلى الملل والسأم من المدينة أو البلدة التى تعج بالضوضاء الصادرة عن الإنسان وآلاته وأدواته .

أما اليوم ، فلقد أصبحت الضوضاء أحد مصادر التلوث التى أصابت عناصر البيئة الطبيعية وأتلفتها ؛ بما فيها الإنسان نفسه . فهذا النوع من أنواع التلوث لم يكن موجودًا بالصورة التى نعرفها اليوم . فهو أحد أنواع التلوث التى عرفتها البشرية حديثًا ، والتى جاءت كنتيجة طبيعية وحتمية لما شهدته الخمسون سنة الأخيرة من القرن العشرين ، من تقدم مضطرد فى شتى دروب الحياة ، وما تبع ذلك من ظهور وسائل انتقال ونقل حديثة ، وآلات وماكينات ضخمة تستخدم فى أغراض صناعية متعددة .

لقد أصبح الهواء المحيط بنا فى كل مكان ملوثًا بموجات صوتية مزعجة بسبب تكدس السكان فى المدن ؛ بأعداد تفوق استيعاب تلك المدن ، ولعب الكرة فى الشوارع والطرقات ، وما يصاحبه من صراخ الأطفال ، وصياح الباعة الجائلين . كما ازدحمت الشوارع بوسائل النقل الحديثة بأنواعها المختلفة ، وما تحدثه فى أثناء سيرها من

ضجيج، وما ينشأ عن سوء استخدام أجهزة التنبيه بها ؛ وخاصة بالقرب من المستشفيات والمدارس . كذلك انتشار أجهزة البث الإذاعى والمرئى بأحجامها المختلفة فى المنازل والمقاهى العامة والمحلات التجارية ؛ وما يتبع ذلك من رفع أصواتها إلى حد الإزعاج .

ومن صور التلوث الضوضائى فى مجتمعاتنا ، ممارسة بعض الأفراد للعادات والتقاليد الاجتماعية البالية التى لا هدف منها ولا فائدة ، مثل : إطلاق الأعيرة النارية فى المناسبات السعيدة والأفراح ، واستخدام مكبرات الصوت ذات الأصوات العالية جدّا فى المواسم والمآتم والحفلات بدون وعى أو وازع أخلاقى . كذلك دق الهون النحاسى بجنون فى مناسبة الاحتفال بمرور أسبوع على ميلاد الطفل .

ويضاف إلى ذلك كله انتشار ورش تصليح السيارات وورش السمكرة والدوكو فى الشوارع المكتظة بالمنازل والسكان ، وما تسببه من إزعاج وإقلاق للراحة ، ناهيك عن المصانع الكبيرة وما يصدر عنها من أصوات مزعجة .

كما أن مرور الطائرات العملاقة – التى تصدر أصواتًا مزعجة – فى سماء المدن التى تمر فوقها ، قد أضاف مصدرًا آخر للتلوث الضوضائى . كذلك فإن بعض الأجهزة الحديثة المستخدمة لتكييف المنازل والمحلات تصدر عنها أصوات عالية تعكر صفو الهدوء الذى يطمع أن ينعم به من يعانى الإجهاد والإرهاق .

وفى الحقيقة فإن عالم الطفل لم يسلم أيضًا من التلوث الضوضائى . .

فنجد أن معظم اللعَب الحديثة للأطفال تتميز بإصدار أصوات مختلفة الشدة والدرجة، فمنها ما هو حاد ومنها ما هو غليظ ، وجميعها تشترك فى إفساد كل ما هو طبيعى وصحى . كما أن « دراجات » الأطفال أصبحت اليوم مزودة بأجراس مختلفة الأحجام والأشكال ، بل إن بعضها مزود بما يشبه « كلاكس » السيارة ، وقد لا يحسن الطفل استخدام هذه الأدوات . . وهكذا ، أصبح الطفل – دون إرادته – يشارك فى انتشار التلوث الضوضائى ، سواء كان فى المنزل أو الشارع أو النادى .

وتسبب الضوضاء أضرارًا جسيمة للأشخاص المعرضين لها ، وخاصة فيما يتعلق بالسمع والجهاز العصبى ، وما يترتب على ذلك من تأثيرات فسيولوجية أخرى تصيب جميع أعضاء جسم الإنسان . كما أنها - أى الضوضاء - تؤثر تأثيرًا غير مباشر على الاقتصاد القومى ، وذلك من خلال إضعاف إنتاجية الفرد (العامل) اليومية .

وفى الحقيقة ، فإن الإنسان لم يهتم كثيرًا بالوقاية من أخطار الضوضاء بقدر ما اهتم بالوقاية من أخطار الملوثات الأخرى . ولكن يمكن القول : إن هناك - الآن - اتجاهًا عالميًا لمحاولة الحد من ظاهرة التلوث الضوضائى ، وسنّ القوانين التى من شأنها تحقيق ذلك .

ويعدّ هذا الكتاب محاولة لإلقاء الضوء على الضوضاء وتأثيراتها الخطيرة التى تنسحب على العنصر البشرى والاقتصاد القومى وخطط التنمية المستهدفة ، وكيفية مواجهة ذلك الخطر القاتل والمعروف بالتلوث الضوضائى .

* * *